تمهيد: يقصد بالمغرب الأقصى المنطقة البعيدة عن مركز الخلافة الإسلامية بالمشرق، حيث يقع في اقصى الشمال الغربي لقارة افريقيا، يحده شمالا البحر الأبيض المتوسط، جنوبا الصحراء الغربية و موريتانيا، شرقا الجزائر، غربا المحيط الأطلسي، و يبعد عن اسبانيا حوالي 13 ميلا، حيث يعتبر همزة وصل بين العالم الافريقي و العالم الأوربي، يتكون جغرافيا من انهار تتخللها جبال الاطلس الكبير ، المتوسط و الصغير، وهضاب شرقية و غربية، وهناك سهول و صحراء، يسود المنطقة المناخ المتوسطي في الشمال، القاري في الوسط، الصحراوي في الجنوب.

توافد على المنطقة: الفنيقيين، القرطاجيين، الرومان، الوندال، البيزنطيين ثم الفتوحات الإسلامية، ظهرت به عدة دويلات: الادريسية، المرابطية، الموحدية، المرينية، الوطاسية، السعدية، العلوية، أهم المدن: مراكش، فاس، دار البيضاء، مكناسة، الرباط، تيطوان، طنجة...

تميز المغرب الأقصى من الناحية السياسية عن بقية بلدان المغرب العربي كونه ظل بعيدا عن النفوذ العثماني، حيث بعد سقوط الدولة الموحدية تعاقب على حكمه عدّة دويلات منها: المرينية، الوطاسية، السعدية والعلوية، فقد سعت كل واحدة جاهدة للمحافظة على استقلاليته.

1- **مكونات المجتمع المغربي الحديث:** عناصر السكان هم:

- **البربر:** هم السكان الأصليين. (البرنس والبتر)

- **العرب:** جاءوا عن طريق الفتوحات الإسلامية وهجرات القبائل العربية بني هلال وبني سليم.

- **الاندلسيين:** هم مهاجري الاندلس الذين توافدوا الى المنطقة فرارا من محاكم التفتيش.

- **أهل الذِمة:** اليهود (كان لهم مكانة هامة في المجتمع، حيث احتكروا التجارة الداخلية والخارجية، حتى أنهم ارتقوا الى مناصب في المخزن)، بالإضافة الى الاسرى المسيحين، القناصل، التجار، الرحالة...

- **السود(الزنوج):** الذين اتى بهم السلطان السعدي المنصور الذهبي من بلاد السودان.

كان المجتمع المغربي يتكون من فئتين:

- **فئة خاصة** (سكان المدن): تتكون من الشرفاء (الذين ينتسبون الى آل البيت النبوي)، العلماء، الاعيان، موظفي جهاز المخزن والتجار الكبار.

– **فئة عامة** (سكان الريف): وهي عبارة عن قبائل بربرية تتكون من الفلاحين، الحرفيين، الرُحل، الحراطين (يعني الحر الثاني ومعناه في عرف اهل المغرب العتيق).

2– مظاهر الحياة الاجتماعية للمجتمع المغربي الحديث:

– **اللباس:** كان البربر (سكان الريف) يلبسون ثيابا صوفية تدعى "الكساء"، ويضعون على رؤوسهم قطعة من نسيج الصوف طولها عشرة اشبار يديرونها على رؤوسهم، بالإضافة الى البرنس (السلهام)، أما سكان المدن فكان لباسهم يتكون من سترة ضيقة، قميص وعباءة واسعة وبرنس، بالإضافة الى سراويل من الكتان، والنساء كانوا يلبسون قميص وثياب عريضة الاكمام.

– **الغذاء:** كان هناك تفاوت اجتماعي في الغذاء، يتناولون ثلاث وجبات في اليوم: وجبة خفيفة صباحا تتكون من الخبز وحساء من دقيق القمح، وفي الظهر أكل خفيف كالخبز والسلطة والجبن والزيتون، اما في المساء وجبة خفيفة من الفواكه. أما في فصل الشتاء يأكلون الكسكس (الغذاء الرئيسي)، بالإضافة الى العصيدة، الخبز والعسل، المشتقات اللبنية والتمر، أما اللحم فقد كان استهلاكه حسب الإمكانيات الاجتماعية لكل طبقة، ومن العادات تناول الطعام على الأرض حيث يستعملون أيديهم، وقد يجتمع عدد من الافراد على صحن واحد.

– **الاحتفالات:** كان المجتمع المغربي يحتفل بالمولد النبوي الشريف لمدة 7 أيام حيث تنشد الامداح النبوية و تصنع الرغيدة (تتكون من السميد، السمن، العسل)، وكذلك الاحتفال بقراءة الصحيح البخاري، عاشوراء، رمضان و ليلة القدر، بالإضافة الى الاحتفالات الشعبية كالأعراس، العقيقة (من عاداتهم إذا كان المولود ذكرا يذبح للنفساء دجاجة، و اذا كانت أنثى يذبح للنفساء ديكا) ، الختان ....

3– الحالة الصحية:

– **الامراض و الأوبئة:** انتشرت عدّة أمراض بالمغرب أخطرها "وباء الطاعون" على سبيل المثال وباء عام (1676-1679) ظهر بتطوان حيث هلك أكثر من 25 ألف شخص، و ظهور الكوليرا ما بين سنتي (1834- 1835)، وكذلك الجذري، التيفويد...، و نظرا لعجز الطب عن إيجاد أدوية لهذه الاوبئة، التجأ السكان الى التداوي بالأعشاب و الحمامات المعدنية كبديل، فمعظم المجتمعات الإسلامية تظن ان "الوباء" قضاء و قدر لا يمكن مقاومته، حيث كان للسلاطين أطباء أوربيون (الاسرى) لهذا لم يهتموا بالوقاية و العلاج ، مما سبب في خسائر بشرية فادحة التي أدت الى الانكماش الديمغرافي.

– **المجاعات و الكوارث الطبيعية**: ظهرت موجات من المجاعات بالمنطقة اخطرها مجاعة عام 1661م حيث ارتفعت أسعار المواد الغذائية و أكل الادميون الموتى و الجيفة، و اضطر بعضهم بيع نساءهم و أولادهم، فقد كان يؤدي انحباس المطر الى تراجع في الإنتاج و ارتفاع الأسعار، فتكررت ظاهرة الجفاف عدة مرات خلال سنة 1714- 1717م مما أدى الى تراجع في الإنتاج الزراعي و انتشار المجاعات و تدهور الأوضاع الصحية، بالإضافة الى خطر الجراد حيث انهارت المحاصيل الزراعية وازداد القحط ، لقد أدت هذه الكوارث و الأوبئة المتتالية الى انهيار ديمغرافي كبير، حيث تشير الاحصائيات أنّ نسبة الوفيات بلغت نصف مجموع السكان، على سبيل المثال كان عدد سكان المغرب مع بداية القرن 19م يبلغ 8.5 ملايين نسمة و اصبح في النصف الثاني من القرن 19م يقدر ب 4.5 مليون نسمة.

4– مكانة المرأة: لعبت المرأة في المجتمع المغربي الحديث دورا بارزا في الحياة السياسية، الاجتماعية والعلمية، فقد ساهمت المرأة في تطوير المجتمع، حيث ظهر منهن عالمات وصالحات، وكان لهن دور في السياسة أمثال (خناثة بنت بكار المغافري زوجة السلطان إسماعيل اول وزيرة مغربية) من خلال مساهمتها في تحقيق السلم بين الأطراف المتنازعة، بينما المرأة الريفية كانت تقوم بأشغال شاقة كجلب الماء والحطب، غسل الصوف، طحن الحبوب...

5– الواقع الديني والثقافي: عرف المغرب الأقصى عدة حواضر ومؤسسات تعليمية، حيث كان للزوايا دورا كبير في المجال الديني من خلال الحفاظ على المبادئ الإسلامية (المذهب المالكي)، وجهادي ضد الاخطار الخارجية، وعلمي في نشر التعليم، أما الاجتماعي فكانت مأوى للفقراء واليتامى وعبري السبيل والطلبة، ولعبت دورا كبيرا في إخماد الثورات الداخلية والتمردات ضد السلطة المخزنية وبعضها كانت معادية للسلطة المركزية، نذكر منها على سبيل المثال: الزاوية الدلائية، السملالية، الناصرية.....

حيث أثرت الجاليات الاندلسية على المجتمع المغربي من حيث الطراز المعماري (القصور، المدن، الحدائق) والألبسة الحريرية، وبعض الأطعمة والفن الاندلسي واللغة الغرناطية (نطق حرف "ق" ب حرف "أ")، الاحتفالات...، بالإضافة الى التأثيرات العثمانية في جميع الجوانب.

شهد المجتمع المغربي خلال الفترة الحديثة (عهد الدولة السعدية والعلوية) عدة ثورات داخلية وتجسد في الصراعات حول الحكم (أبناء السلاطين)، بالإضافة الى تمردات القبائل ضد السلطة المخزنية، هذا أدى الى تدهور المستوى المعيشي لسكان، ومن أخطر الازمات التي شهدها المغرب الأزمة التي دامت قرابة ثلاثين سنة (1727 -1757) بعد وفاة السلطان إسماعيل، حيث أفقدت المجتمع المغربي الطمأنينة والاستقرار لولا مشيئة الله.